العدد (1794) السنة السابعة - الخميس (13) أيــار 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

عزوها لانتشار الإشعاع وسوء التغذية

"فرح" إنموذجاً بين محنة التشوهات الخلقية وتخلي الوالدين والوزارة

تحقيق وتصوير / إيناس طارق

تعهدت وزارة الصحة على لسان وزيرها في بعض الفضائيات بتبني علاج الطفلة فرح التي ولدت وهي مشوهة خلقيا،منع الكثير من المنظمات الانسانية المتخصصة بهذا الشأن من ايجاد حلول لمعالجتها، والغريب في الامر ان الوزارة تخلت عن تعهدها وتم تركها في المستشفى بانتظار مصيرها المجهول!
أصيبت بصدمة جعلتها تكف عن الكلام لعشر دقائق بعد ان وقفت مذهولة مما رأته، فطوال ١٥ عاما من العمل في قسم الأطفال الخدج لم تر تشوها خلقيا كما شاهدته بفرح الطفلة الحديثة الولادة التي نقلت إلى القسم مؤخرا. والداها هربا بعد ساعة من ولادتها وتركاها في أروقة مستشفى العلوية، تبحث عن إجابة لماذا هي جاءت إلى الدنيا بهذه الهيئة الغريبة العجيبة؟وهذا ليس كلامنا إنما كلام الفريق الطبي المشرف على حالتها!

سميت فرح.....ولكن

سميت فرح لأنها لا تملك من الفرح شيئا إنما الألم والحزن والمرض والتشويه الذي اخذ منها جمال الطفولة البريئة. وهي الان تبلغ من العمر اربعة اشهر.
تقول الدكتورة ندى طبيبة أطفال اختصاص في مستشفى العلوية للولادة: حالات التشوهات الخلقية التي نراها الان عجيبة ولم نشاهدها في السابق طوال فترة عملنا في الطب ومنذ ١٥ عاما وان اعمل طبيبة أطفال لم يمر أمام عيني مثل ما حملته الطفلة فرح الذي كان عبارة عن شق بالوجه بالكامل بمعنى أكثر وضوحا ان فص الدماغ بالداخل يحمل تشوها أيضا،وفتحة بالقلب،ولا تدمع عيناها لانها من دون جفون فنستخدم تقطير الدموع لها وهي لا ترى أيضا، وهذه حالة غريبة جدا،بحيث لم يستطع الفريق الموجود في قسم الخدج من تقبلها او حتى التقرب منها فترة من الوقت لان حقيقة شكلها وهيئتها مخيفة جدا وتجد عند المقابل رد فعل سلبيا لما هي عليه ويترجم هذا الرد بالاستياء والغضب لما أصبح عليه الطفل العراقي بسبب ماتعرض له من حروب مختلفة طوال العقود السابقة.

ظهور التشوهات بعد جيلين

فضلا عن ان التشوهات الخلقية ليست مثل الامراض السرطانية التي قد تحتاج فترة من الوقت لتظهر على الإنسان مثل مرض اللوكيميا الذي ظهر بعد خمس سنوات تقريبا واحتلت محافظة البصرة النسبة الأكبر بعدد المصابين به نتيجة تعرضها إلى القصف بالاسلحة الحاوية على نسبة من اليورانيوم المنضب وهذا الكلام ليس عشوائيا انما جاء بعد ان ثبت علميا وعلى صعيد الابحاث الدولية، لكن التشوهات الخلقية تظهر بعد جيل او جيلين لكن بهذه السرعة فهذا الأمر يتطلب العمل على دراسة فورية وإلا السنين المقبلة ستفاجئنا بحالات عجيبة غريبة،وأكدت ندى ان الإشعاع موجود ولا اثر له إذا كان بنسب قليلة ولكن عندما يزداد سوف يوثر على الرجل او المرأة وبالتالي سيوثر على تكوين الجنين خلال الأشهر الثلاثة الأولى وخاصة عند تكوين الخلايا واذا كانت نسبة اليورانيوم تجاوزت الحد الطبيعي فمن المؤكد ان الطفل سيصاب بتشوهات خلقية في اليد او الوجه او الإذن او شق الشفة او الحنك الولادي

حالتان غريبتان

وتسترسل الدكتورة ندى في حديثها قائلة، عام ٢٠٠٩ استقبل مستشفى العلوية للولادة حالتين والفرق بينهما كان يومين فقط، الحالة الأولى كانت لفتاة ولأدتها كانت طبيعية ولم تعان الام من مشاكل طوال شهور حملها، الطفلة ولدت بعين واحدة فقط وما هي الا ساعات حتى توفيت والحالة الأخرى فتى ولد أيضا بعين واحدة وبنفس التشوه الخلقي الأمر الذي اثار استغراب ودهشة الكوادر الطبية العاملة في المستشفى،فكيف يمكن ان تولد حالتان والفرق بينهما يومان فقط ولا صلة قرابة بين العائلتين ولان المستشفى يحتضن الطفلة فرح التي تتغذى عن طريق(أنبوب طبي يصل للمعدة) والحليب الذي تتناوله يحمل اسم(سمي لاك) ويبلغ سعره ١٠ آلاف دينار يتحمل الفريق الطبي المشرف عليها والعاملون في المستشفى نفقات تغذيتها وتوفير احتياجاتها الأخرى « الجدير ذكره « هذه الطفلة دون عناية ورعاية من وزارة الصحة.

النسب الأخيرة

وإضافت ندى ان نسبة الوفيات بين الأطفال الخدج زادت في السنين الاخيرة فالعراق سجل نسبة عالية بين بلدان دول الشرق الأوسط تليه دول قارة إفريقيا، فالمستشفيات الخاصة بالأطفال الخدج بالذات تحتاج إلى أجهزة إنعاش الطفل الحديث الولادة والناقص الوزن،إضافة إلى فتح دورات تدريبية للكوادر الطبية المختصة وتوفير الأدوية ومواد الإنعاش وأجهزة تساعد الطفل على نمو الرئة (جهاز التنفس الاصطناعي).
وعلق الدكتور وعد طبيب اختصاص أطفال ومسؤول شعبة الخدج في مستشفى العلوية للولادة قائلا: ان حالات التشوهات الخلقية هي أزلية حيث العيوب الخلقية الناتجة عن اختلال الصبغيات والكر وموسومات في العدد أو التركيب:
وحالة فرح ليست جديدة اذ ان حالات التشوهات الخلقية تعزى إلى زيادة نسبة السكان فيمكن احتساب نسبة الولادات قبل ٢٠ سنة كم كانت بالشهر الرابع مثلا ومقارنته بالشهر الرابع لعام ٢٠١٠ فلا يمكن ان نقول ان زيادة نسبة الإمراض السرطانية والتشوهات الخلقية كانت بسبب تعرض العراق إلى القصف بمادة اليورانيوم المشعة فهناك عوا مل عديدة ايضا تسبب التشوهات منها ان العيوب الخلقية الناتجة عن اختلال الصبغيات والكر وموسومات في العدد أو التركيب،عند المرأة الحامل يؤدي الى ولادة جنين غير متكامل ومشوه خلقيا

اسباب اخرى للتشوهات

فضلا عن إصابة الأم بميكروبات محددة في الأشهر الثلاث الأولى من الحمل وخاصة فيروس الحصبة الألمانية أو الزهري أو فيروس مضخم الخلايا أو فيروس داء القطط يعرض الطفل عادة إلى حدوث تشوهات خلقية في القلب وصغر حجم الرأس وعتمة العينين وتضخم الكبد والطحال، إضافة الى إصابة الأم ببعض الأمراض المزمنة وخاصة السكر وارتفاع الضغط وعدم مواظبة الحامل على تناول اقراص الفولك اسيد الذي يقلل من نسبة الإصابة بالشفة الأرنبية وعيوب الأنبوب العصبي المفتوح والكلى والقلب والأطراف والأمعاء،واضاف وعد ان العامل النفسي والعصبي كذلك يؤثر على الجنين اضافة الى سوء التغذية ومدى احتواء الغذاء على الفيتامينات والمعادن ونحن لا ننكر ان للإشعاعات أيضا تأثيرا في ولادة أطفال مشوهين خلقيا،وعندما يقول البعض ان النسبة زادت لا نعتقد ذلك لان نسبة السكان في العراق أيضا زادت فطبيعي تزيد الولادات والوفيات.

زيادة الاطفال الخدج

اما فيما يخص زيادة نسبة الولادات المبكرة (الخدج) علق الدكتور وعد على هذا الموضوع قائلا: الخديج هو الطفل الذي يولد قبل ٣٧ اسبوعا وشيء طبيعي ان يحدث ذلك فالاطفال الاقل وزنا عن الطبيعي وولدوا قبل موعدهم يعتبرون خدجا،والامر الآخر ان السبب الرئيسي لزيادة الولادات المبكرة هو زراعة اطفال الانابيب،والحمل بتوأم،وارتفاع ضغط الدم والاصابة بالسكري لدى المرأة الحامل او الاصابة بتشوهات الرحم واضطراب نسبة الهرمونات لدى المرأة الحامل كلها امور تؤدي الى الولادة المبكرة وهنا علقت الدكتورة ندى قائلة يمكن القول ان نسبة الاسقاطات لدى النساء الحوامل زادت فسابقا كان الحصار الاقتصادي يلعب دورا كبيرا في سوء الحالة الصحية للمرأة،اما الآن وبعد عام ٢٠٠٣ حيث تحسنت الاوضاع الصحية ولو بنسبة افضل من السابق ظهرت امور اخرى اثرت على بنية الطفل والام الحامل فضلا عن اسباب اخرى كانتشار،البطالة وسوء التغذية وشرب الماء غير نقي،وحتى بالنسبة للغذاء ان كان غير صحي ويدخل ضمن الاغذية الاكسباير فهو يسبب فقدان الطفل ايضا او تكون ولادته مبكرا والدواء الذي ينعش الطفل الخديج وكما ذكرنا سابقا استخدام في معظم مستشفيات العالم منذ عام ١٩٨٠ ولم يدخل الى العراق ونحن في عام ٢٠١٠ فمتى يتم استيراده واستخدامه لانقاذ الاطفال الخدج؟

أطباء التقويم

وقبل مغادرة قسم الخدج في مستشفى العلوية للولادة قدم فريق طبي من مستشفى الواسطي للكشف على الطفلة فرح وامكانية اجراء عملية جراحية لها وحسب تعليق الدكتور حسن حميد طبيب اختصاص تقويم الاسنان: ان فرح بلغت الآن ٤ اشهر وهذا العمر يسمح باجراء عملية جراحية للفك العلوي الساند للاسنان الامامية والغرض من ذلك هو ارجاعه الى وضعه الطبيعي حتى يتمكن بعد ذلك اخصائي التجميل من تصليح الشفة (شق الشفة) وعندما تبلغ من العمر ٩ اشهر يمكن اجراء عملية جراحية لها لمعالجة شق اللثة.

كاميرات على شكل ساعات وأقلام

أساليب للابتزاز والتهديد ذهب ضحيتها العديد من الفتيات

بغداد \ المدى

التفنن والايغال في اساليب الجريمة والاحتيال اصبحت ظاهرة مستشرية في مجتمعنا الذي كان تضرب به الامثال في التزامه بالتقاليد التي تعكس روح الصدق والاخلاص والنبل، لكن افرازات الحروب الرعناء التي خاضها النظام السابق،فضلا عن الفوضى التي سادت المجتمع بعد التغيير ،انتجت طبقة غرست ابتكار طرق واساليب في كسب المال الحرام واستغلال المواطن الذي ما يزال مصرا على البقاء في دائرة النبل والطيبة التي تمتع بها المجتمع العراقي.

كاميرا صغيرة لا يتعدى قطرها ٤ملم وحجمها بالكامل ٨سم استخدمت (كمصيدة) لبعض الفتيات، في عدد من المنازل(التي تستخدم كصالونات تجميل او محال بيع الملابس النسائية،والغرض من ذلك هو الابتزاز والتهديد بدفع المال او ممارسة البغاء،والنتيجة كانت إيقاع النسوة تحت التهديد في حالة رفضهن ذلك والسلاح الموجة ضدهن أفلام صورت ممارسة الفعل الجنسي وهن تحت تأثير المخدر الذي خلط مع العصير المقدم لهن، او فتى استغل علاقته بفتاة وصورها دون علمها ومن ثم يبتزها بدفع المال له بين فترة وأخرى لأنه عاطل عن العمل والكثير من الحوادث الأخرى طرقت أبواب مجتمعنا دون سابق إنذار بسبب انتشار هذه الكاميرات الخفية.

حوادث حقيقية

حوادث كثيرة من هذا النوع سجلت في مختلف المحاكم العراقية خصوصا المحاكم الجنائية التي عرضت أوراق العديد من المتهمين ان كانوا رجالا او نساء لاستخدامهم كاميرات للإيقاع بالنسوة خصوصا، وإجبارهن على ممارسة الدعارة، وهناك حادثة سجلت قبل فترة قليلة هي الإيقاع بفتاتين صغيرتين لا يتجاوز عمرهما ١٦،١٨ من قبل صاحبة محل تجميل (كوافير) في إحدى المحافظات واستلمت مبلغا كبيرا لقاء بيعهما لأشخاص يدفعون الأموال لإشباع رغباتهم الجنسية وتم تصوير الفتاتين بالفعل وهددتا ببيع الفلم في المحال والأسواق إذا تفوهتا بكلمة واحدة.والنتيجة قتل الفتاتين والرجال المتهمين وصاحبة المحل من قبل العشائر.

تصوير الموبايل

وحوادث التصوير بالموبايل سبقت التصوير بالكاميرات الحديثة والمتطورة والتي انتشرت في الآونة الأخيرة بشكل كبير فلا يكاد يخلو محل بيع المواد الكهربائية او محال التصوير من عرض أنواع متعددة من هذه الكاميرات مختلفة الأحجام والمنشأ وكل ذلك يحدث أمام السلطات المختصة،التي تمنع استيراد الكاميرات الصغيرة وبالمقابل تسمح استيراد الكاميرات الكبيرة المستخدمة لحماية المؤسسات الحكومية والمنازل والأسواق الكبيرة،لكن الشيْ الملفت للنظر ان مناطق الباب الشرقي وباب المعظم وحافظ القاضي والكرادة والمنصور تبيع هذه الكاميرات الممنوعة.

آراء متباينة

يقول المواطن محمد مضر مدير شركة الراسخ التجارية والواقعة في منطقة المنصور، متخصصة باستيراد و ببيع مختلف المواد الكهربائية وذات الماركات العالمية المتعارف عليها في السوق المحلية العراقية(سامسونج الكورية)،إن استيراد الكاميرات يكون ضمن ضوابط وشروط أمنية أولا ولا يسمح بإدخال الكاميرات الصغيرة الحجم مثل القلم أو التي تعلق بالملابس وغيرها عبر المطار،لكن في حالة الاستيراد العشوائي عبر الحدود فهذا الأمر لا يدقق فيه ولا يسأل عنه إما بالنسبة إلى أسعار الكاميرات فهي مختلفة فهناك كاميرا يبلغ سعرها ٢٠ دولارا فقط لكن الصندوق الذي يتحكم بها ويضم العقل الالكتروني المتحكم وجهاز المكسر يبلغ سعره ١٠٠٠ دولار. هذا بالنسبة للصناعة الكورية اما الصينية فإنها رخيصة الثمن ولا نتعامل بها،ولا تسمح الجهات الأمنية باستيرادها،والكاميرات التي تستخدم للمراقبة كثر الطلب عليها من قبل المواطنين من أصحاب المحال التجارية الكبيرة،إضافة إلى المؤسسات الحكومية وبعض المنازل الكبيرة خوفا من تعرضها إلى السرقة.

زيادة الطلب على الشراء

بينما علق صبار حسين صاحب محل الأجراس لبيع المواد الكهربائية والواقع في منطقة الكرادة قائلا، قبل شهرين تقريبا زاد الطلب على شراء الكاميرات الخفية والعلنية،بمعنى هناك كاميرات صغيرة الحجم جدا وتنصب في السيارات خلف واقية المرآة الأمامية وتربط بشاشة أمامية تعرض الأغاني والأفلام باستخدام(كارد ويدر صغير يربط بفلاش) وكل شيء بالنسبة للسائق وهذه الكاميرات تسمى الصندوق الأسود حيث تخزن الأحداث وما يحصل للسيارة ٢٤ مدة ساعة ويبلغ سعرها ٢٨٠ دولارا لكن ربطها وبرمجتها يكون ١٠٠ دولار او أكثر أحيانا.أما رائد صاحب محل بيع الادوات الاحتياطية للسيارات الحديثة يقول: شهد هذا العام إقبالا كبيرا من أصحاب السيارات الحديثة،خصوصا طلب نصب شاشة(كاميرا) في السيارة وحسب لون (الدش بول) حيث تتوفر كاميرا تعمل على بك السيارة فقط ومن ملاحقها شاشة تعمل على عرض الأغاني والأفلام وكل شيء وتعمل برام او فلاش ولا تكلف أكثر من ٢٨٠ دولارا فقط،أما الكاميرات الأكثر دقة وبعيدة المدى، فيتراوح سعر الواحدة منها من ١٥٠٠ دولار الى٢٠٠٠ دولار، ويصل مدى التصوير فيها الى نحو ١٠٠٠ متر مربع وبدقة تصوير عالية،وهذه الكاميرات تستخدم في المحال التجارية الكبيرة مثل المولات، والمؤسسات الحكومية،والشركات الخاصة حيث يكون ربط الكاميرات عن طريق جهاز سويتش ويقوم بتجميع الكاميرات وعرضها على التلفزيون وبالتالي فلا يمكن لهذا الجهاز من التسجيل وانما مراقبة فورية ومباشرة واذا كانت لديك كاميرا واحدة فقط فلن تحتاج للسويتشر ويمكنك توصيلها مباشرة الى التلفزيون، وتختلف مساحات التسجيل على حسب الهارد ديسك حيث الأجهزة المتوفرة بالأسواق يمكن تركيب هارد ديسك.
بالنسبة للكاميرات المتحركة يمكن التحكم بها عن طريق أجهزة التسجيل والتي تدعم كاميرات PTZ او يمكن توصيلها بكيبورد خاص بها للتحكم عن قرب أو البعد Zoom والوضوح والتشويش

للضرورة والصورة أحكام

يقول ابو سجاد صاحب اكبر مول في بغداد،استخدام كاميرات المراقبة ضروري جدا لمراقبة الأجزاء الواسعة بالنسبة للمول ونركز على الأجزاء الرئيسية والشاشة تعرض تكسرات الصورة لجميع الطوابق اما غير ذلك فلا نفضل استخدامها وكما يقول المثل (للضرورة أحكام).
اما سلام محمد صاحب محل بيع الملابس النسائية والواقع في منطقة شارع فلسطين يقول:لا يمكن ان يسيء بعض الأشخاص بتصرفاتهم غير الأخلاقية إلى الجميع فنحن نعمل في بيع الملابس منذ سنوات طويلة ولم نضع أي كاميرا مراقبة في الوقت الذي أصبح بإمكاننا تركيبها في محالنا لكن لاحاجة لنا لذلك ومن يفعل ذلك فهو يستحق المحاسبة والعقاب.
ولاشك في استخدام الكاميرات ان كان بدافع توفير الأمن والحماية الشخصية وهذا مما لمسناه من عرض بعض المحال الكاميرات الصغيرة والمنتشرة أسواقها في مناطق الباب الشرقي والكرادة، السنك،وغالبيتها هي تباع كمواد كمالية للسيارات خاصة الحديثة وفي المقابل تتوفر كاميرات مراقبة أو تسجيل فديو صغيرة الحجم تستخدم من قبل بعض الأشخاص لقضايا خاصة وبكل الأحوال هذه الكاميرات ممنوعة من البيع لكن عرضها وتداولها مازال ساري المفعول في أكثر المحال التجارية ان كانت متخصصة أو لا فالأمر لا يختلف حيث يقول سجاد صاحب محل الأنوار في منطقة الباب الشرقي،اصبح سوق الكاميرات الصغيرة رائجا الان ولكثرة الطلب عليه بدأنا نستورد إعدادا كبيرة منها فهناك من يرغب بتزيين سيارته او من يريد حماية منزله او من يريدها لاستخدامه الشخصي كتصوير فديو والخزن وتكون على شكل قلم او حلقة صغيرة او حتى ميدالية تعلق بها المفاتيح وتحوي عينا سحرية صغيرة تعمل بعد ضغط الزر المشغل وهذه الكاميرات لا يتعدى سعرها ١٥٠ دولارا وغالبا ما يطلبها الشباب ونحن لا نسألهم ماذا تفعلون بها لان ذلك حرية شخصية.

لوحات وساعات

وأكد مصدر امني في وزارة الداخلية ان الأجهزة الأمنية تعمل بشكل جدي على مصادرة كل انواع الكاميرات المخالفة لشروط استيرادها لكن مع الأسف أصحاب المحال والمواطنون لا يتعاونون معنا في هذا المجال والأمر حقيقة لا يخلو من الخطورة لان الارهابيين قد يستغلون ذلك بربط عدة كاميرات في أماكن حساسة او حتى حملها لتصوير حركة الناس في الشوارع والدوائر فالامر يحتاج إلى تعاون ومراقبة من الجميع وليس فقط الأجهزة بعض أنواع من هذه الكاميرات لاستغلال الفتيات بعد تصويرهن بحجة أرشفة الصور للذكرى وهنا تكمن الطامة الكبرى حيث يقوم الشخص باستفزاز الفتاة بدفع مبلغ من المال وإلا تعرضت إلى الفضيحة والكثير من الحوادث التي ضبطتها السلطات الأمنية لا تخلو من عملية النصب والابتزاز وذهب ازاها عدد كبير من الفتيات ضحايا لهذه الكاميرات.
وقبل ان نغادر بعض المحال الخاصة ببيع هذه الكاميرات شاهدنا في شركة بلو ساير المستورد الرئيسي لهذه الكاميرات،عددا من اللوحات الجدارية جميلة جدا وبسعر ٢٥٠ دولارا للوحة،الرقم يعتبر خياليا للوحة جداريه عادية،وعندما استفسرنا عن سبب ارتفاع، سعر اللوحة أجاب صاحب المحل انها تحوي على كاميرا داخلية ويمكن نصبها في أي مكان ولن يتمكن شخص من اكتشافها لكن عملية النصب تحتاج إلى معاينة المكان لتحديد مقدار تكلفة النصب والتشغيل.

الرأي الامني

وفيما يخص هذا الموضوع صرح العقيد خالد مدير مركز شرطة باب الشيخ قائلا:بالتعاون والتنسيق مع قيادة شرطة محافظة بغداد والمراكز الأمنية التابعة قمنا بعمليات دهم كبيرة شملت العديد من المناطق والأسواق الرئيسية التي يكثر فيها تداول وبيع الكاميرات غير المرخصة للتداول مثل الأقلام والساعات والكثير من الأنواع الاخرى ومن هذه المناطق منطقة باب الشيخ والباب الشرقي والسعدون وبعض المناطق الأخرى.